﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: 14 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ذكرِ الصِّفات والأحوالِ إلى ذِكرِ عللِها وأسبابِها

لمّا ذَكَرَتِ الآيات السّابقةُ صِفاتِ المكذّبين وأحوالَهُم ومَقالتَهُم عنِ القرآن الكريم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ ناسب الانتقال إلى بيانِ السَّببَ الذي حَمَلَهُم على هذه الصِّفات الذّميمة، وهذا القولِ الباطلِ، وهو ما استقرّ في نُفوسِهم من فسادٍ وانغماسٍ في المعاصي، فقد كانت أفعالُهم السَّيّئة وجُرْأتُهُم على الإثم هي التي أعْمَت بَصائِرَهُم، وجَعَلَتْهُم يُكذّبون بالوحي، لا لخفاء الدَّليل، ولكن لانْطِماسِ قُلوبِهِم وتَدَنُّسِها بالذُّنوب[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَانَ﴾: غَطَّى، وغَلَب، يُقال: رانَ الذَّنْبُ على قلبِه، أي: غلب[2]، وأصلُ (رين): يدُلُّ على غِطاءٍ وسَترٍ[3]، والرَّيْنُ كالصَّدَأِ يَغْشى القَلْبَ مِن كَثرةِ المعاصي والذُّنوب[4]، وكُلُّ ما غَلَبَك، وعَلاك؛ فقد رانَ بك، وران عليك، يُقال: ران النُّعاسُ في العَيْنِ، ورانت عليه الخَمْرُ: غلبته، رينًا ورُيونًا[5]، غَلَبَ عَلى قُلوبِهِم، وغَمَرَها، وأحاطت بها الذُّنوبُ، فغطَّتها[6].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 30/ 77.
(2) نشوان الحميري، شمس العلوم: (رين).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رين).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (رين).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رين).
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 286.

2) ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾: (حجب) تدورُ اشتقاقاتُه على مَعْنى المَنْعِ والسَّتْرِ، تقولُ: حَجَبْتُهُ، أي: مَنَعْتُهُ[1]، وكُلُّ شيءٍ مَنَعَ شَيئًا مِن شيءٍ؛ فقَدْ حَجَبَه[2]، ومنه: احْتَجَبتِ الشَّمْسُ في السَّحاب؛ إذا اسْتَتَرَتْ فيهِ[3]، والمَعْنى هُنا: مَمْنوعونَ عَن رُؤْيَتِه تعالى يومَ القيامَةِ[4].

3) ﴿لَصَالُواْ﴾: أصلُ الصَّلْيِ الإيقادُ بالنّار، ويُقال: صَلِيَ بالنّار وبكذا؛ أي: بَلِي بها، وصَلِيَ الكافرُ النّار: قاسى حرّها، والصِّلاءُ: ما يُصْطَلى بهِ وما يُذْكى بهِ النّارُ، ويوقَدُ[5]، والمَعْنى: لَداخِلو الجَحيمِ ومُقاسو حَرِّها[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ أسبابِ الضَّلال تَحْذيرٌ مِن مَسالِكِها

تُبيّن الآياتُ الكريمَةُ السَّبب وراءَ جُحودِ المكذّبين للقرآن الكريم، فليس القرآنُ خرافاتِ الأوّلين، كما يَزْعُم المكذّبون، ولكِنَّ الَّذي حمَلَهم على التَّكذيبِ بالحَقِّ وتَرْكِ الإيمانِ به أنَّه غَطَّى على قُلوبِهم، وأحاطَ بها ما كانوا يَعمَلونَه مِن الذُّنوبِ المُتتابِعةِ، حتَّى اسوَدَّت قُلوبُهم، فرَأوا الحَقَّ باطِلًا، ثُمّ يُصوّر حالَهُم يومَ القيامَةِ، فيُخبر أنَّهم يُحجبون عن رؤية رَبِّهم جزاءً لتَكْذيبِهم وجُحودِهم، فيُحْرَمونَ أعْظَمَ النَّعيم، ثُمَّ يُساقون إلى نارِ جهنَّم فيُعذَّبون فيها، ويُقال لهُم على وجه التَّقريع والتَّوبيخ: هذا هو العذاب الذي كنتُم تُكَذّبون به في الدُّنيا، فذوقوهُ جزاءَ تَكْذيبِكُم واستهزائكم بآياتِ اللّه تَعالى[7].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حجب).
(2) الخليل بن أحمد، العين: (حجب).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (حجب).
(4) الملا علي القارئ، أنوار القرآن وأسرار الفرقان: 5/ 291، ومأمون حموش، التفسير المأمون: 8/ 376.
(5) الرّاغب، المُفردات، وابن فارس، مقاييس اللغة: (صلى).
(6) الثعلبي، الكشف والبيان: 10/ 154، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 280.
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 259، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 350، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 915 - 916.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الرَّدع والزَّجرِ بأداة ﴿كَلَّآ﴾:

جاءت أداة ﴿كَلَّآ﴾ بعد قيل المُكَذّبين ما قالوا في وصف آيات القرآن الكريم ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ ردعًا حاسمًا وزجرًا قويًّا، أي: ليكفّ كفًّا تامًّا، وينزجر زجرًا قويًّا، فليس الأمر كما زعم فيما تُلي عليه من الآيات، فجاءت كلمة ﴿كَلَّآ﴾ أداةَ رَدعٍ وزجرٍ قاطعٍ، تُبطِل زعمهم بأنّ القرآنَ أساطير الأوّلين، وتُكذّب مقالتَهم الباطلة أشدَّ التكذيب[1]، فهي لإبطال ما قالوه، مع تضمينها معانيَ الرّدع والزَّجر، فالموقف ليس موقف ردِّ كلامٍ فحسب، بل إشعارٌ بغضَب الله تعالى عليهم بسببِ ما قالوهُ، وبئسَ ما قالوا.

الـرَّدع الشَّديد دالٌّ على الغضَبِ الإلهيّ والإنكار الرّبّانيّ

نوعُ ﴿بَلۡۜ﴾ ودلالَتُها:

جاء حرف ﴿بَلۡۜ﴾؛ ليُفيد الإبطالَ والتَّحويل، مُؤكِّدًا مضمونَ الرَّدع في ﴿كَلَّآ﴾، ومُبيِّنًا السَّبب الحقيقيَّ وراء قولهم الجائر، وهو أنَّ الذُّنوب والخطايا قد غَشَت قلوبَهُم، وأحاطت بها إحاطةَ الصَّدأ بالحديد، حَتَّى طَمَسَت نور الفطرة، وأعْمَت البَصائِر[2].

إبـطـالُ أقـوالِ المـكـذِّبين تأكيدٌ لرَدْعِ المُبْطِلين

بلاغَةُ الاستِعارَةِ في مُفْرَدَةِ ﴿رَانَ﴾:

الـرَّيْنُ في أصل معناه: الصَّدأ أو الغِشاء المتراكم الثّابت، فشبَّهتِ الآيةُ ما يستقرُّ على القلب من أثر المعاصي حتَّى يُغطيَه، ويمنعَ نورَه من الإشعاع بالرَّيْنِ، فهي استعارة تصريحيَّة، شُبِّه فيها الذَّنب المتراكم بالصَّدأ القارِّ الذي يعجز صاحبُه عن إزالته بسُهولة[3]، فكما يُغطّي الصَّدأُ صفحةَ الحديد حتَّى يحجُبَ بَريقَه، كذلك تُراكم

تشبيهُ الـذَّنـب المُتراكِـم بالصَّدأ القارِّ بجامِعِ مَنْعِ الانتِفاعِ بالنّافِع

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 721، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 5/ 295، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 127.

(2) الشِّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 9/ 444، والسّيواسي، عيون التَّفاسير: 4/ 293، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 198، 199.

(3) الشِّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 9/ 444.

الخطايا على القلب حجابًا بعد حجاب حتَّى يُظلم، ويَنْطَفِئ نورُه، فلا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، وهذه الاستعارة البليغة تُبرز أثر الذُّنوب في تغليفِ الفِطْرَةِ، وإخماد البصيرة، وتعطيل الإدراك الرّوحي، حتَّى ينقلبَ ميزانُ الإنسان، فيرى الحقَّ باطلًا والباطل حقًّا، وفي هذا تحذيرٌ شديدٌ مِن دوامِ المَعْصيَةِ لِما تُحْدِثُه مِن أثَرٍ عميقٍ في طبيعة القَلْبِ وصَفائه[1].

بلاغةُ المجازِ في حرفِ الاستعلاءِ:

الاستعلاء في حرف ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ مجازيٌّ، يُصوِّر الرَّين في صورةِ غشاءٍ يعلو القلوبَ، ويَغْمُرها، حتَّى يحجُبَ عنها نورَ الهداية والإيمان، فالذُّنوب قد تراكمت فوقها طبقةً بعد طبقةٍ، فصارت مُغلَّفةً لا ينفذ إليها نورُ الحقِّ، وذلك نتيجة انغماسهم في المعاصي وانهماكِهم في الآثام[2].

الذُّنوبُ المستوليَةُ على جمال القَلْبِ مانعةٌ من الفَضيلَةِ

دلالَةُ إضافَةِ القُلوبِ إلى الضَّمير:

أُضيفت القلوبُ إلى ضَميرِ الجَمْعِ في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾؛ للدّلالة على العموم، أي: إنَّ الرَّين لَم يَخْتَصّ بقَلْبِ واحد من المكذِّبين، بل شَمِلَ قلوبَ جميعِ مَن قالوا هذا القولَ الشَّنيع، وقد عُبِّر عنهُم بالجَمْعِ؛ إشارةً إلى كَثْرَتِهم وتنوُّعهم، وتنبيهًا إلى أنَّ هذا الغِطاء يكسو قلوب كُلِّ فردٍ منهم دون استثناء[3]، وهو يدلُّ على أنَّ الذُّنوب التي يتّفق عليها مجموعُ المكذّبين ينالهم عقابٌ يشتَمِلُ عليهم جميعًا.

التَّكذيبُ بالقرآنِ ذنبٌ جماعيٌّ، فاستَوْلى على المكذِّبين داءٌ مشترَكٌ

نُكْتَةُ ذِكْرِ فِعْلِ ﴿كَانُوا﴾:

ذُكِر فِعْلُ الكَوْنِ ﴿كَانُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، ولم يُسْتَغْنَ عَنْهُ، فلم يَرِد النَّظمُ القرآنيُّ: (ما

من العدل الإلهيِّ أن يُعاقب الله تَعالى المُكذِّبين على عنادِهم وإصرارهم

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 916، والقاسمي، محاسن التأويل: 9/ 431.
(2) السَّمرقندي، بحر العلوم: 3/ 557، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 20/ 149.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 321.

يكسبون)؛ وذلك لبيانِ أنَّ ما كسبوه من التّكذيب والكفر بآيات القرآن الكريم ديدَنُهُم وعَمَلُهم الدّائم، فلم تكن أعمالُهم فلتاتٍ يسيرةً، أو غيرَ مقصودة، بل كانَت عن عنادٍ وإصرارٍ.

بلاغَةُ التَّعبير بصيغَةِ المُضارع:

تـجـدُّدُ اقـتـرافِ الـذُّنـوبِ منهَجُ المكذّبين وسبيلُ الضّالّين

جاء التَّعبير بفعل ﴿يَكْسِبُونَ﴾ بصيغة المُضارع؛ للدّلالة على استمرارهم في اقترافِ الذُّنوب وتجدُّدِها المرَّة بعد الأخرى، حتَّى صار الإثمُ عادةً ملازمةً لهم، لا ينفكّون عنها، وفي ذلك تصويرٌ لحالهم بأنَّهم ماضون في كسْبِ السَّيئات بإصرارٍ وجرأةٍ، وقد غلبت عليهم الذُّنوب حتَّى أعاقَتْهُم عن التَّوبة والإقلاع، فاستَمَرّوا في المعاصي دون ندمٍ أو انقطاعٍ[1].

غرَضُ حَذْفِ المفعولِ:

عـمـومُ المَعاصي والآثـامِ سَبَبُ الـرَّيْـنِ على القلوبِ

حُذِف مفعولُ فعل ﴿يَكْسِبُونَ﴾؛ لإفادة العموم والشُّمول، أي: ما كانوا يكسبونه من أنواع المعاصي والآثام، سواءٌ أكان كفرًا أم فسقًا أم غيرَ ذلك من الذُّنوب التي تراكمت على قلوبهم حتى غَشَّتْها كما يَغْشى الصَّدأُ سطحَ المِرآة، فحجَبَت عنها نورَ الحقّ، ومنعَت نَفاذَ الهِدايَةِ إليها[2].

فائدة تكرار ﴿كَلَّآ﴾ وغرَضُها:

حَـمْـلُ الـكـلامِ على التَّأسيسِ أَوْلى مِن حَمْلِهِ على التَّأكيد

جاء تكرارُ أداةِ الرَّدع والزَّجر في قولِهِ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؛ لتَصْرِفَهُم عن غيِّهم، وتُنذرَهم بعاقبة أعمالهم التي رانَت على قلوبهم، وفي تكرار ﴿كَلَّآ﴾ تأكيدٌ للأولى؛ لتزدادَ قوَّةُ الإنكار، وليصير الرَّدعُ توبيخًا صريحًا وتقريعًا شديدًا مضاعفًا، وأيضًا فإنَّ فيه تهديدًا بالغًا بسبب ما هُم عليه من

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 88، والبقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 321، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 199، 200.

(2) المنصوري، المقتطف من عيون التفسير: 5/ 454، وابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 261.

الضَّلال والعناد[1]، أو لبيان استقلال الجملة الثّانية عن الأولى في الدّلالة، فالأولى في بيان سبَبِ الرّين في الدّنيا، والثّانية في بيان حالِهم مع ربِّهم في الآخرة، فهم مَحْجوبون عنِ اللّه تعالى، لا ينالون مِن رَحْمَتِه وصولًا، فهو رَدْعٌ أن يَظُنّوا أنَّ لهم رحمةً من اللّه تَعالى بعد وصْفِهم كتابَهُ بما وصفوا، وحمل الكلام على التَّأسيس أولى من حَمْلِه على التّأكيد.

عِلَّة فصلِ جُمْلَةِ ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ﴾:

الانتقال من مقامِ الزَّجر والإنذار إلى مقام بيان العاقبةِ والجزاءِ

جُملة: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ مُستأنفة؛ لأنّها تُفصِّل مضمونَ الرَّدع الذي سبَق في قوله: ﴿كَلَّآ﴾، وتُبيّنهُ، فبَعْدَ أن زُجِروا عمّا هُم عليه من تكذيبٍ وغفلة؛ بُيِّن ما يترتّب على ذلك من جزاءٍ مهينٍ، وهو حِرمانُهم من النَّظر إلى وجه ربِّهم الكريم[2]، فالفصلُ هُنا للانتقال من مقام الزَّجر والإنذار إلى مقام بيانِ العاقبةِ والجزاءِ.

بلاغَة التَّوكيد:

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ مؤكَّدًا بـ: إنَّ واللّام المزحلقة؛ لزيادةِ التَّقرير والتَّوكيد على قوَّة الحَجْبِ، وليَعْلَموا أنَّه لا مجالَ لرَحْمَةِ مَن أُشْرِكَ بهِ سبحانه.

بلاغَةُ الإيجازِ بحذفِ المضاف:

الحذفُ أبلغُ في التَّوبيخ وأشدّ في الإهانة

حُذف المضافُ في قوله تعالى: ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، دونَ أنْ يُقالَ: (عن رُؤيةِ ربِّهم)؛ ليبقى اللَّفظ على إطلاقهِ واتِّساعه، فيشمل الإخبارَ عن حَجْبِهم عن رؤية اللّه تعالى وحرمانهم من أعظمِ النَّعيم، وإذلالهم ومنعهم من القُرب، كما يُمنع المُجْرِم أو

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 721، 722، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 5/ 295، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 429، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 127.

(2) الواحدي، التَّفسير البسيط: 23/ 326، والعلوان، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2651.

العبد المُسيء من المُثول بين يدي المَلِكِ العظيم[1]، فجاء الحذفُ أبلغَ في التَّوبيخ وأشدّ في الإهانة؛ إذْ جَمَعَ بينَ الحِرْمانِ مِن النَّظر إلى وجهِ اللّه الكَريم والطَّرد من جَنابِهِ الأعلى؛ جزاءً لتكذيبهم بيوم الدّين.

نُكْتة استعمالِ لفظِ الرُّبوبيَّة دون الاسم الأحسَن (الله):

خُسران المعلومِ آثارُهُ والمُدْرَكةِ صِفاتُه تُحرِّك قلوبًا واعيةً وعقولًا مُدْرِكَةً

آثَر النَّظم الكريم التَّعبير بعنوان الرُّبوبية ﴿رَبِّهِمْ﴾ دون الاسم الأحسَنِ (اللّه)؛ لِما في الرُّبوبيَّة من دلالةٍ على الرِّعاية والإحسان والتَّربية والرَّحمة، وهي معانٍ تقتضي القُرب والعطف[2]، فجاء التَّعبيرُ بهذا الاسم الشَّريف؛ ليُبرز شِدَّة الخُسران والحرمان؛ إذ حُجِبوا عن ربٍّ كان يُربّيهم بنِعَمِه، ويَدْعوهُم برَحْمَتِه، فجازاهم على جُحودِهِم بالبُعْدِ عن رَحْمَتِه.

بلاغَةُ تَنْوينِ العِوَضِ:

إيجازُ اللَّفظ وتعظيمُ المَوْقِفِ اختزالٌ للمعنى

التَّنوينُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عِوَض عن جملةٍ محذوفَةٍ تقديرُها: (يومَ إذْ يقوم النّاس لرَبِّ العالمين)، فالمعنى: إنَّهم عن ربِّهم يوم يقومُ النّاس للحساب لمحجوبونَ في ذلك الموقف العظيم، وجاء هذا الحذف مع التَّنوين؛ ليوجزَ اللَّفظ، ويُعظِّم الموقف في الوقت نفسِهِ؛ إذ يُحيل السّامع إلى مشهد القيامِ والهول[3].

بلاغَةُ التَّمثيل:

تجسيدُ الإهانة المعنويَّة والحرمانِ الرّوحي في صورة محسوسَةٍ

في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ تصويرٌ تمثيليٌّ بليغ يُبرز ما بلغَه المكذِّبون من التَّحقير والمهانة؛ إذ صوَّر حالُهُم بحال الأدنياءِ المَذْمومينَ الذين يُمنَعون من الدُّخول على المُلوك وأصحاب المكانَةِ العالية، فلا يُؤذَن لهم بالمُثولِ بين أيديهم، بخلاف

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 200، 201.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 323، والشَّيخ علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 2/ 493.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 280، والدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 415.

المقرّبينَ المكرَّمين الذين يُؤذَن لهُم بالدُّخول واللِّقاء[1]، فجاء هذا التَّمثيل؛ ليجسّد الإهانة المعنويَّة والحرمان الرّوحي في أبلغِ صورةٍ؛ دلالةً على أنَّ حَجْبَهُم عن ربِّهم هو أقصى مراتبِ الخِزْيِ والخِذلان.

بلاغة التَّعبير بمفردة الحجب في مقام العقوبةِ:

الحجابُ أعظمُ العقوبات وأشدُّ العـذاب على قلوب العبادِ

في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ إشارةٌ بليغة إلى أنَّ الحجابَ عن الله تعالى هو أعظمُ العقوبات وأشدُّها، وفي هذا ردٌّ صريح على مَن زعم أن الكافرين يرون ربَّهم يوم القيامة؛ إذ دلَّت الآية على أنَّهم يُمْنَعون من أعظم نعيم الآخرة، وهو النَّظر إلى وجه الله الكريم وسماعِ خِطابِ العَليم، وأيضًا فإنَّ مفهوم المخالفة في الآية يدلُّ على أنَّ المؤمنين يُكرَّمون برؤيةِ ربِّهم ﷻ، فيتلذَّذون بمشاهدته، ويأنَسون بخطابه، ويغتبطون بقُربه، وهو النَّعيم الذي يفوق كلَّ نعيمٍ ماديٍّ أو روحي، وقد استدل أئمَّة أهل السُّنَّة بهذه الآية على ثبوت رؤيةِ المؤمنين لربِّهم؛ لأنَّ الله تعالى جعل الحِجاب عن رؤيته أعظمَ عقوبَةٍ للكُفّار، فدلّ ذلك على أنَّ المؤمنين مُشرَّفون برؤية ربِّهم ورضوانه[2].

بلاغَةُ العَطْفِ بحَرْفِ التَّراخي:

الانتقالُ مِن ذِكْرِ عَذابِ القَلْبِ إلى عذابِ القالبِ

جاء العطف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ بحرف التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾؛ ليُفيد الانتقالَ مِن نَوْعٍ مِن العذاب إلى ما هو فرعٌ عنهُ[3]، فبَعْدَ أن بيّن سُبحانه عذابَ الحجابِ عن رؤيته؛ انتقل بحرف

(1) الدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 418.

(2) ابن جُزي، التَّسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 462، والسُّيوطي، الإكليل في استنباط التَّنزيل، ص: 284، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 916، وابن القيِّم، حادي الأرواح، ص: 292.

(3) اختار بعضُ أهل العلم أنَّ التَّراخي الرُّتبي هُنا بذكر ما هو أشدُّ وأعظم، قال الشَّوكاني: "(ثُم) لتراخي الرُّتبة، لأنَّ صَلْيَ الجحيم أشدُّ من الإهانة وحرمان الكرامة"، وبهذا القولِ قال غيرُ واحد من أهل التَّفسير، ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 261، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 127، والقنوجي، فتح البيان: 15/ 132.
والتَّحقيق أنَّ هُناك تفصيلًا، فعذاب النّار عند أهل الكفر أشدُّ بلاء من الحجاب، أمّا عند المؤمنين، فالحجاب عندهم أعظم أنواع العذاب، ينظر: الآلوسي، روح المعاني: 15/ 280.

﴿ثُمَّ﴾ إلى بيان عذابِ القالَبِ بالنّار[1]، وهكذا جَمَعَ الله تعالى على الكافرين نَوْعَيِ العذاب: عذاب البُعد والحِجاب، وهو عذابُ القلوب، وعذاب الجحيم، وهو عذابُ الأجساد، كما جمَعَ لأوليائه نوعَيِ النَّعيم: نعيم الجنَّة الحسّيِّ، ونعيم النَّظر إلى وجهه الكريم[2].

بلاغَةُ التَّوكيد وغَرَضُه:

جاء قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ مؤكَّدًا بـ: إنَّ واللّام المزحلقة؛ وذلك ردًّا على إنكارهم وجُحودِهم، وتثبيتًا لِحقيقة الجزاء الذي يَنْتَظِرُهم، فالتَّوكيد هُنا جاء لبيان أنَّ مصيرَهُم إلى النّار أمرٌ محتوم لا مفرَّ منه؛ جزاءً لتكذيبِهم بيومِ الدّين وعُتوِّهم عن الحقِّ[3]، وأنَّ ما يظنّونه من الإفلات مِنَ العذاب بسبَبِ رَحْمَةِ الله تعالى؛ إذِ اعتيادُ الكافِرِ المكذِّبِ النِّعَمَ - مع عدم نزولِ العذاب به لكُفْرِهِ وتكذيبه - يُغريه بمزيد الضَّلال، فيظنُّ أنَّ ما هو فيه رحمةٌ من الله تعالى، وأنَّه لن يَلْحَقَهُ أذًى، بل إنَّ له عنده الحسنى، وهذا هو الضَّلال البعيدُ.

اغـتـرارُ الـكـافِرِ المكذِّب بالنِّعم مع عـدمِ نُـزول الـعـذابِ به يـقـودُه إلى الضّلال البعيدِ

بلاغَةُ التَّعبير بمُفْرَدَةِ ﴿لَصَالُواْ﴾ مادَّة وصيغَةً:

آثَرَ النَّظْمُ الكريمُ التَّعبير بمفردة ﴿لَصَالُواْ﴾؛ لتصوير حال المكذِّبين يومَ القيامة تصويرًا حسّيًّا مخيفًا، فيُظهر أنَّهم يُغْمَسون في النّار غمسًا، ويُقاسون حرَّها، ويُصْلَون بها، كما تُصْلَى الشّاةُ المشويَّة، فيَحْتَرِقُ لحمُهم، وتتمزَّق أجسادُهم[4]، وفي هذا دلالةٌ على شِدَّة العذاب وهَوْلِه ودوامِه، وحَقارَتِهم عندَ الله تعالى؛ إذْ أصْلاهُم الجحيمَ صَلْيًا لا يكون معه إلّا شديدُ الألَم، وعظيم النّدم على ما فرّطوا في الدُّنيا، وفي اختيارِ اسْمِ الفاعِلِ دلالة على الثُّبوت

جـزاءُ التّكذيب في الدُّنيا عذابُ الـتَّزيـنِ، وفي الآخـرةِ عـذابُ الصَّلْي

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 324.
(2) ابن القيم، إغاثة اللهفان: 1/ 32، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 280.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 324، والصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 272.
(4) الباليساني، حسن البيان: 6/ 2858، والبقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 324.

والاستمرار، فهُم يكونونَ مُلازمين للنّار ومُقيمينَ فيها، يُقاسونَ لهيبَها دونَ انقطاع، ويُشْعِرُ اللَّفظُ أيضًا بتحقُّق الوُقوع مستقبلًا لا محالة؛ إذْ هو وعدٌ إلهيٌّ نافذٌ لا مردّ له[1]، ولمّا اجْتَمَعوا في الدُّنيا على التَّكذيب، فأصابَهُم عذابُ الرَّيْن، فهُم كذلك في الآخرة قد أصابَهُم عذابُ الصَّلي.

نُكتة انتقاء لفظ ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ دون النّار:

الاشتعالُ الشَّديد والتَّأجُّج المُستمرُّ صفاتُ الجحيمِ المُقيم

اختير لفظ ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ بدلًا من لفظ النّار؛ لِما في الجحيم من دلالةٍ على الاشتعالِ الشَّديد والتَّأجج المُستمرِّ؛ إذ تُستعمَلُ الكَلِمَةُ في الأصل لِما بلغَتْ نيرانُهُ غايةَ الاتِّقاد والحرارةِ، ولهذا أصبَحَ الجَحيمُ في اصْطِلاحِ القُرآن اسمًا خاصًّا لجهنَّم، دارِ العذابِ العظمى في الآخرة[2]، فكان في اختيارها تهويلٌ للعذاب وتعظيمٌ لمَشْهَدِه؛ لتصويرِ أنَّهم لا يُقاسون نارًا عاديَّةً، بل نارًا متأجِّجة لا تخمد، هي الجحيمُ ذاتُ اللَّظى والعقابِ المقيم.

دلالَةُ العَطْفِ بحَرْفِ التَّراخي:

الانتقالُ بينَ مَراحِلِ العذابِ المادّيِّ والمعنويِّ بيانٌ لأهوالِ النّار

جاء العطفُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ بحرف ﴿ثُمَّ﴾؛ ليدُلَّ على التَّراخي في الرُّتبة والانتقالِ إلى مرحلةٍ أُخْرى مِنَ العذاب والتَّهديد، فبَعْدَ أن عوقِبوا بالحِجاب عن ربِّهم، ثُمَّ بصَلْيِ الجحيم؛ ارتقى الوعيد إلى التَّقريع والتَّوبيخ القوليِّ، وهو نوعٌ من العذاب النَّفسيِّ الذي يُضاعِف أَلَمَهُم، ويَزيدُ خِزْيَهُم، فبعد الحجابِ جاء الاحتراقُ، ثُمَّ جاء القول المُهين الذي يقطَعُ الأمَلَ، ويُغلق بابَ الرَّجاء.

فاستعمالُ (ثُمَّ) يوحي بالمُهلة بين مراحل العذاب، فهي أزْمِنَةٌ تُهيِّئُهُم لتلقّي مزيدٍ من العذاب والتَّقريع، وفيه إشارةٌ إلى جواب

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 151.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 324.

مالكٍ خازنِ جهنَّم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزُّخرف: 77 - 78]، ثُمَّ يُجابون بعدَها، فيُقالُ لَهُم على وجْهِ الإهانَةِ الإذلال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، فيتحقَّقُ بذلكَ الوعيدُ الذي طالَما أنكروهُ في الدُّنيا[1].

نُكتةُ بناء فِعْلِ ﴿يُقَالُ﴾ للمَفْعولِ:

إظهارُ مَضمونِ القَوْلِ أشَدُّ مِن ذِكْرِ قائلِهِ

جاء فعل ﴿يُقَالُ﴾ في الآية مبنيًّا للمفعول؛ لأنَّ المقصودَ هو التَّركيز على مضمونِ القول ذاتِهِ لا على قائله، فالعبرة هُنا بما يُقال، وأيضًا فإنَّ في هذا الأسلوبِ إيحاءً بالتَّحقير والإهانة؛ إذْ حُرم هؤلاء المكذِّبون من شَرَفِ الخِطاب المُباشر من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 77][2]، فالبناء للمفعول هنا يُظهر الإعراضَ الإلهيَّ عنهم.

دلالَةُ الجُمْلَةِ الخَبريَّة:

المُـراد بالإخبارِ لازِمُـهُ وهـوَ التَّشنيع والتَّوبيخ

جاءت الجملَةُ الخبريَّة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ لا لمجرَّد الإخبار، بل خرجَ عَن معناهُ الأصليِّ إلى لازمه، وهو التَّشنيع والتَّوبيخ والتَّقريع؛ إذ يواجَه المكذّبون في موقف الخِزْي والرَّهبة بهذا القولِ الذي يُذكّرهم بإنكارهم القَديم، فيتحقّق فيهم الوعيدُ الذي طالَما سَخِروا منهُ[3].

بلاغَةُ استعمالِ اسمِ الإشارَةِ القَريب:

النّدامةُ أظهَرُ أشكالِ العذاب المعنويِّ عند الإشارة إلى العذابِ الحِسّيِّ

جاء التَّعبيرُ باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ العذابَ قد صار واقعًا محسوسًا أمامهم، فاسمُ الإشارةِ يُبرزُ المشهدَ الحاضر، وهذا يُفيد أنَّ الوعيد

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 201، 202، والدَّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 10/ 415.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 30/ 201، 202، والسّيواسي، عيون التَّفاسير: 4/ 293.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 151.

قد تَحقَّق عيانًا، وأنَّ ما كانوا يَسْخَرون منه قد أصبح أمرًا مشاهدًا لا سبيل إلى إنكاره[1]، ففي اختيار اسمِ الإشارةِ تصويرٌ حيٌّ لموقف الخزي والرَّهبة، وإظهارٌ لتمام العدل الإلهيِّ حين يُعْرَضُ المُكذِّبون على العذاب الذي طالما جحدوه، فيرونَ بأعيُنِهم ما كانوا يكذِّبون به، فيزداد توبيخُهم وإذلالهم وحَسْرَتُهم، وتلحقُهم النّدامة حين تُنادي على عنادِهم، وتُذَكِّرهم بإصرارِهم.

نُكتَةُ استِعمالِ المَوْصولِ:

اختير اسمُ المَوْصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾ بدلًا من (ما)؛ لِما في ذلك من استحضارٍ لِما كانوا يُكذِّبون به في الدُّنيا، وتنبيهٍ لهم على جَريمَتِهم الماضية تَنديمًا لهم وتَحزينًا[2].

غرضُ ذِكْرِ ﴿كُنتُم﴾:

جاءَ ذِكْرُ فِعْلِ ﴿كُنتُم﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ للدّلالة على أنَّ تكذيبَهُم لَم يكُن طارئًا أو عارضًا، بل كان صفةً راسخةً في نفوسِهم نابعةً من طَبيعَتِهم الفاسِدَةِ[3].

نوعُ الباء ودلالَتُها:

التّذكيرُ بالمكذّب به حَسْرَةٌ وملامَةٌ

الباء في قولِه تَعالى: ﴿بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ لتعديةِ الفِعْلِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ إلى المكذَّب به، أي: إلى الخبَرِ أو القَضيَّة التي أنكروها؛ إذ يُعدَّى الفعلُ بنَفْسِه عند التَّكذيب للمُتكلِّم، وبالباء عند التَّكذيب للقولِ أو المضمون، وهي تُفيد الاختصاصَ، أي: تُكذِّبون به خاصَّة[4].

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

أعظمُ الحَسَراتِ عندَ حُضورِ البَيِّناتِ والتَّذكيرِ بالنَّصائحِ القيِّمات

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على الفعل ﴿تُكَذِّبُونَ﴾؛ اهتمامًا بمرجع الضَّمير، أي: بما يعود إليه الضَّمير من العذاب المذكور؛ إذ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 201.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 202، وعبد الملك قاسم، عقد الجُمان: 1/ 1275.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 325.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 325، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 202.

المقصودُ لَفْتُ الانتباهِ إلى هذا الأمر العظيم الذي كانوا يُنكرونه، وفي هذا التَّقديم أيضًا رعايةٌ لجمال الفاصلة القرآنيَّة وتناسقِها في ختام الآيات[1]، ففي التَّقديم تنديمٌ وتحسيرٌ وتوبيخٌ وتقريعٌ وتبكيت، وإلحاقٌ بالبهائم بل أشدُّ.

دلالَةُ الاتِّساق في حَذْفِ مَفْعولِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾:

جاء فعل ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ في الآية مع حذف مفعوله؛ ليُفيد العمومَ والإطلاق، أي: تكذيبكم كان يشمَلُ كلَّ من بلَّغكم هذا الحقَّ، وعلى رأسِهم رُسُلُ اللّه الذين دَعَوْكُم إليه في الدُّنيا، فالتَّقدير: هذا الذي كنتُم به تكذبون رُسُلَ اللّه وأخبارَهم، وبذلك تحقَّق في اللَّفظ اتِّساقُ المعنى واتِّساع الدّلالةِ؛ إذْ يجمع بَيْنَ تكذيبهم بالخبَرِ نَفْسِه، وهو يوم الدّين، وتكذيبِهم بمَن جاء به[2].

إفادَةُ العُمومِ والإطلاق في تَكْذيبِهم بالرَّسول وما جاء بِهِ

نُكتة التَّعبير بصيغَةِ المُضارِعِ:

جاء التَّعبير بصيغة الفعل المُضارع ﴿تُكَذِّبُونَ﴾؛ ليدلَّ على تصويرِ ما صدَرَ عنِ المُكَذّبين في الدُّنيا صُدورًا دائمًا متجدِّدًا؛ ليتجدّد لهم العذابُ والحَسَراتُ والآلامُ كما جدّدوا تكذيبَهُم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكَسْب والاكتِساب:

الكَسْبُ الفِعْلُ العائدُ على فاعِلِه بنَفْعٍ أوْ ضُرٍّ[3]، ويَشْتَمِلُ على ما هوَ خَيْرٌ كَقَوْلِه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158]، وفيما هوَ شَرٌّ كَقَوْلِه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: 81]، ويَكونُ لِنَفْسِه ولِغَيْرِه، والاكتِسابُ المُبالَغَةُ والاعتِمالُ في الكَسْبِ، ويَكونُ لِنَفْسِه خاصَّةً[4]، ففي الاكتِسابِ مَزيدُ إعْمالٍ وتَصَرُّفٍ، أمّا إذا جاءَ الكَسْبُ مُجْتَمِعًا

الكَسْبُ فِعْلٌ عائِدٌ نفعُه وضرُّه على فاعِلِهِ، والاكتِسابُ المُبالَغةُ في الكسب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 202.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 202.
(3) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 137.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 2/ 762.

مَعَ الاكتِسابِ، فإنَّ الكَسْبَ هُنا لا يَعْني إلّا ما هوَ خَيْرٌ، والاكتِسابُ يَعْني ما هوَ شرٌّ، قال تَعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البَقَرَة: 286]، وعِنْدَ الافتراقِ يَحْتَمِلُ الاكتِسابُ المَعْنَيَيْنِ، كما هوَ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: 32]، أي: لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِنْ ثَوابِ اللّه تَعالى وعِقابِهِ مِمّا اكْتَسَبوا، فعَمِلوهُ مِنْ خَيْرٍ أوْ شَرٍّ، ولِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمّا اكْتَسَبْنَ مِنْ ذَلِكَ[1].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 6/ 669.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"